الجزء السابع — سورة الأنعام — أنعام ١٦٥

سُورَةُ الأَنْعَامِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۖ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ۖ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴿٨﴾

سورة الأنعام

﴿خلق السموات والأرض﴾ أبدع خلقها وأحكم صنعها ﴿وجعل الظلمات والنور﴾ خلق النور والظلام، والليل والنهار ﴿بربهم يعدلون﴾ يسوون بين الخالق المبدع الحكيم، والأصنام التي نحتوها بأيديهم، وعبدوها من دون الرحمن ﴿خلقكم من طين﴾ خلق أباكم آدم من طين ﴿ثم قضى أجلاً﴾ حدّد لكل إنسانٍ زمناً يموت فيه ﴿وأجل مسمى عنده﴾ زمن البعث والنشور ﴿ثم أنتم تمترون﴾ تشكّون في الله وفي إحيائكم بعد الموت ﴿وما تأتيهم من آية﴾ معجزة باهرة، وآية قرآنية ناطقة ﴿معرضين﴾ لا يلتفتون إليها ﴿كم أهلكنا من قبلهم من قرن﴾ أمماً كثيرين أهلكناهم لمّا كذبوا الرسل ﴿مكناهم﴾ غزيراً متتابعاً ﴿مدراراً﴾ ﴿أهلكناهم بذنوبهم﴾ دمّرناهم بسبب معاصيهم ﴿كتاباً في قرطاس﴾ مكتوباً على ورق ﴿فلمسوه بأيديهم﴾ مسّوه بأيديهم، وهو أبلغ من المعاينة ﴿لولا أنزل عليه ملك﴾ هلاّ نزل على محمد ملك يشهد بنبوّته؟ ﴿لقضي الأمر﴾ هلكوا بعذاب الاستئصال إذ لم يؤمنوا ﴿لا ينظرون﴾ لا يُمهلون.

سبب النزول: (نزلت هذه الآية ﴿ولو نزّلنا عليك كتاباً في قرطاس﴾ في (النضر بن الحارث) و (ابن أبي أميّة) و (نوفل) قالوا لرسول الله ﷺ: لن نؤمن لك، حتى تأتينا بكتابٍ من عند الله، ومعه أربعةٌ من الملائكة، يشهدون أنه من عند الله، وأنك رسولُ الله) أسباب النزول للواحدي ﴿ولو أنزلنا ملكاً﴾ لو أنزله الله كما طلبوا لقالوا: هذا سحر واضح، سحرنا به محمد، من شدة فجورهم وعنادهم ﴿ثم لا ينظرون﴾ لا يُمهلون بل يأتيهم العذاب أسرع ممّا يتصوّرون.

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

﴿جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا﴾ لو جعلنا الرسول مَلَكاً ﴿لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ نبعثه في صورة رجل، ليتمكنوا من مشاهدته ﴿مَّا يَلْبِسُونَ﴾ اشتبه الأمرُ عليهم واختلط، فقالوا: هذا إنسانٌ وليس مَلَكاً ﴿فَحَاقَ﴾ نزل بهم وأحاط عاقبةُ سخريتهم وهو العذاب الأليم ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ قضى وأوجب على نفسه الرحمة تفضلاً منه وإحساناً ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ أن يجمع جميع الخلائق ليجازيهم على أعمالهم ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شكَّ في مجيئه ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ﴾ له جلّ وعلا كلُّ ما استقرّ في الكون، فهو ربُّه وخالقُه ومالكُه ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خالقهما ومبدعهما على غير مثالٍ سابق، بمعنى «المخترع» لهما ﴿يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ هو الرازق لعباده يرزقهم ولا يرزقونه ﴿ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ الذي ذلت له الجبابرة، وخضعت له الرقاب ﴿ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ الحكيم في خلقه، الخبير بشؤون عباده.

تنبيه: طلب المشركون أن يكون الرسول من الملائكة لا من البشر، فقالوا ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ ولو استجاب الله طلبهم، لأرسله لهم في صورة رجل، لعدم استطاعة البشر رؤية المَلَك في صورته الملكية، وحينئذٍ يلتبس الأمر عليهم ويختلط، هل هذا مَلَكٌ أم رجل من البشر؟ وجميعُ الأنبياء إنما رأوا المَلَك في صورة البشر، ولم يره أحد منهم على صورته الملكيّة، غير النبي ﷺ كما في حديث عائشة (رأى رسولُ الله ﷺ جبريل في صورته مرتين: مرة عند سدرة المنتهى، ومرة في جياد مكة، له ستمائة جناح، قد سدّ الأفق) رواه الترمذي.

الجزء السابع سورة الأنعام

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا
ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ
ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا
تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ
أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ
﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ
ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ
رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ
عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ
قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ
لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ
إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن
يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ
فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾

﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ شهادةُ أيّ شيءٍ في الكون أكبر؟ حتى يشهد لي بالنبوة؟ ﴿قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ الله يشهد لي بالرسالة، وكفى بها شـــهـــادة!! ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ﴾ وأوحى الله إليَّ هذا القرآن المعجز ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾ لأخوِّفكم به يا أهل مكة ﴿وَمَنۢ بَلَغَ﴾ وأنذر كلّ من بلَغه القرآنُ إلى قيام الساعة ﴿ءَالِهَةً أُخْرَىٰ﴾ تقرُّون بوجود آلهة أخرى مع الله!؟ ﴿يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾ أحـــبـــار وعلماء اليهود والنصارى، يعرفون محمداً ﷺ بأوصافه في كتبهم، كما يعرف الواحد منهم ولده، ولكنهم ينكرون ويكابرون ﴿فِتْنَتُهُمْ﴾ جوابهم حين سُئلوا ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ أقسموا أنهم لم يكونوا مشركين ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ غاب عنهم ﴿أَكِنَّةً﴾ أغطية كثيرة ﴿وَقْرًا﴾ صَمَماً ﴿وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ يبتعدون عن سماع القرآن، وينهون غيرهم عن سماعه، ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ ما يهلكون بهذا الصنيع إلا أنفسهم، وما يشعرون بذلك، لشدة غبائهم وحماقتهم، فقد جمعوا بين الضلال والإضلال، وكفى بذلك سفاهةً وحماقة!! ﴿وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ عُرضت عليهم نار جهنم فرأوها، وجواب (لو) محذوف لتهويل الأمر، أي لرأيتَ أمراً عظيماً مَهُولاً، تشيب له الرءوس، وتطيشُ له الأحلام ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ يتمنون الرجوعَ والخلاصَ، ولكنّ هيهات ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ حتى لا نرى هذا الموقف الهائل.

سبب النزول: روي أن كفار مكة قالوا لرسول الله ﷺ يا محمد: لقد سألنا عنك اليهود والنصارى، فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكرٌ، فأتنا بمن يشهد أنك رسول الله؟ فنزلت ﴿قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ﴾ الآية، أسباب النزول للواحدي.

الجزء السابع الأنعام

بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ
بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا
بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ
﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ
بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ
عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا
لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ
وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ
رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ
وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ
﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ
نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ ۚ وَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

﴿بَلْ بَدَا لَهُم﴾ ظهر لهم ما كانوا يخفونه في الدنيا من القبائح ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا﴾ لو رُدّوا إلى الدنيا لعادوا إلى الكفر والضلال ﴿حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ ما هي إلا هذه الحياة الدنيا، ولا بعث ولا نشور ﴿وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ حبسوا أمام ربِّ العزة والجلال، كما يقف الجاني أمام سيده للحساب ﴿كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ خسر المكذّبون بالبعث ﴿بَغْتَةً﴾ جاءتهم القيامة فجأة ﴿يَا حَسْرَتَنَا﴾ قالوا: يا خيبتنا وشقاءنا على ما ضيّعنا في الدنيا من صالح الأعمال ﴿يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾ يحملون جرائمهم وذنوبهم ﴿لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ يؤلمك يا محمد تكذيبهم لك وقولهم عنك: إنك شاعر، ساحر، مجنون ﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ فإنهم من قرارة نفوسهم يعلمون صدقك ولكنهم جاحدون معاندون، وهو إشارة إلى قول أبي جهل: "ما نكذّبك يا محمد وإنك عندنا لمصدَّق، وإنما نكذّب ما جئتنا به" رواه الترمذي ﴿كَبُرَ عَلَيْكَ﴾ شقّ وعظم ﴿نَفَقًا فِي الْأَرْضِ﴾ سردابا في جوف الأرض تسكن فيه، والغرض من الآية: أن يقطع الرسولُ طمعه من إيمانهم، ولا يتحسّر على ضلالهم وطغيانهم.

سبب النزول: روي أن (الأخنس) التقى بأبي جهل في أحد طرقات مكة، فقال له: ليس هنا غيري وغيرك، أخبرني عن محمد، هل صادق أم كاذب!! فقال له أبو جهل: والله إن محمداً لصادق، وما كذب قطُّ؟ ولكنْ تنازعنا نحن وبنو هاشم في الزعامة، فأطعموا فأطعمنا، وسقَوْا فسقينا، وأجاروا فأجرْنا، ثم افتخروا علينا فقالوا: نعت فينا نبيٌّ!! فمن أين نأتيهم بنبيٍّ؟ والله لا نؤمن به ولا نصدّقه، فنزلت فيه الآية.

الجزء السابع — سورة الأنعام

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ ۖ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ إنما يستجيب للإيمان ولدعوتك يا محمد، الذين يسمعون كلام الرحمن سماع تفهُّم واعتبار ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ أما موتى القلوب - وهم الكفار - فلا يستفيدون من دعوتك، شبّههم تعالى بالموتى، في عدم السماع والانتفاع ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ﴾ يقول كفار مكة: هلاّ نزل على محمد معجزة تدل على صدقه؟! كالناقة، والعصا، والمائدة ﴿قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ اللّهُ لا يعجزه أن يأتيهم بما اقترحوا ﴿أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لا يعلمون أن إنزالها يستجلب لهم البلاء ﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ مخلوقة مثلكم، خلقها اللّهُ ودبّر أرزاقها وأحوالها ﴿مَّا فَرَّطْنَا﴾ ما تركنا في القرآن شيئاً يحتاجه الناس إلّا بيّناه لهم ﴿صُمٌّ وَبُكْمٌ﴾ المكذبون لآيات الله، كالصمّ والخرس، يتخبّطون في ظلمات الجهل والكفر ﴿بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ بالفقر والمرض ﴿يَتَضَرَّعُونَ﴾ ليتذلّلوا وينيبوا لربهم ﴿مُّبْلِسُونَ﴾ آيسون من رحمة الله، وفي الحديث الشريف «**إذا رأيتَ اللّهَ تعالى، يعطي العبدَ في الدنيا، وهو مقيم على معاصيه، فإنما هو استدراج**» ثم قرأ الآية، رواه أحمد.

قولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ هذا مَثَلٌ ضربه الله للمشركين، في جهلهم وقلة إدراكهم وفهمهم، مثّل لهم بالأصمّ والأبكم، أي هم مَثَلُ الأصم الذي لا يسمع، والأبكم الذي لا يتكلم، ثمّ هو مع هذا في ظلماتٍ لا يبصر، فكيف يهتدي مثلُ هذا لنور الإسلام؟ أو يخرج من أوحال الضلالة!؟

فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ
مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ ۗ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ
ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ
بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا
نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ۖ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ
عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ
إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۚ
أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا
إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ
﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ
وَجْهَهُ ۚ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ
عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ﴾ أهلكهم الله عن آخرهم ﴿أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾ أخبروني لو أذهبَ الله عنكم حواسَّكم، فأصمَّكم وأعماكم ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ من يقدر أن يردَّ عليكم هذه الحواسَّ غير الله تعالى؟ ﴿يَصْدِفُونَ﴾ يُعرضون ﴿بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾ فجأةً بدون سابق إنذار، أو علناً بالليل أو بالنهار ﴿خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ قل لهؤلاء المعاندين: أنا لستُ إلهاً حتى تطلبوا مني أن أوسِّع عليكم الأرزاق، أو أقلب لكم جبال مكة ذهباً، إنما أنا عبدٌ للّهِ لا أملك شيئاً من خزائن ملكه ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ ولا أدَّعي أيضاً أني أعلم الغيب حتى تسألوني عن وقت نزول العذاب ﴿إِنْ أَتَّبِعُ﴾ لا أتَّبع إلا أوامر الله ووحيه ﴿هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ هل يتساوى الكافر والمؤمن؟ والجاهل والعالم؟ ﴿بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ بالصباح والمساء ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ يطلبون رضى الله والقربَ منه، وإذا طردتهم تكون من الظالمين.

سبب النزول: عن عبد الله بن مسعود قال: مرَّ الملأ من قريش على النبيﷺ وعنده (صُهَيْبٌ) و (عمَّارٌ) و (بِلَال) فقالوا يا محمد: أرضيتَ بهؤلاء من قومك؟ أهؤلاء الذين منَّ الله عليهم من بيننا؟ اطردهم عنك، فلعلَّك إن طردتهم أن نتَّبعك!! فأبى ﷺ ذلك، فقالوا: فإذا جئناك فأبعدهم عنك، وأقعدهم حولك إذا انصرفنا!! فهمَّ رسول الله أن يفعل ذلك طمعاً في إسلامهم، فأنزل الله ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ الآية رواه الطبراني وأحمد.

وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ
عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا
جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ
رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا
بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾
وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾
قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قُل لَّآ أَتَّبِعُ
أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾
قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى
مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ
ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ
ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾
۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى
ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ
فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

﴿فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ ابتلينا وامتحنّا الغنيّ بالفقير، والعالم بالجاهل ﴿مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ ليقول المترفون والأغنياء: أهؤلاء الفقراء الصعاليك سبقونا إلى الإسلام، واهتدوا إليه دوننا؟!! ﴿بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ أليس ربُّ العالمين، هو العالم بمن يشكر فيهديه، ومن يكفر فيخزيه؟ ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ﴾ ألزم نفسه الرحمة تفضلاً وإحساناً على عباده ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ ارتكب ذنباً بسفاهة منه ﴿ثُمَّ تَابَ﴾ تاب بعد فعل الذنب وأصلح العمل ﴿نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ نوضّح الدلائل والحجج ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ لتتوضّح طريق المجرمين، وينكشف أمرهم ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ على بصيرة من شريعة الله ﴿مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ ليس عندي ما أعجّل لكم من أنواع العذاب ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ ما الحكم إلا لله وحده ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ يبيّن الحقّ والباطل بحكمه العادل ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ عند الله تعالى أمور الغيب كلها، لا يعلمها إلّا هو ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ﴾ لا تسقط ورقةٌ من شجرة، إلّا يعلم وقت سقوطها ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ﴾ ولا تغيب حبة في بطون الأرض إلا يعلمها ﴿كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ اللوح المحفوظ.

الحزب ١٢ الربع ٣ صد

سبب النزول: قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ نزلت هذه الآية في الذين نهى الله نبيّه ﷺ عن طردهم، فكان رسول الله ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسلام، وقال: **الحمدُ لله الذي جعل في أمتي، من أمرني أن أبدأهم بالسلام!** أسباب النزول للواحدي.

الجزء السابع سورة الأنعام

وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾

﴿يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ الوفاة الصغرى (النوم)، لأن النائم يشبهُ الميّتَ ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ يعلم ما كسبتم بجوارحكم من الإثم بالنهار ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ يوقظكم في النهار ﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ لتستكملوا أجل حياتكم المقدّر لكم. ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ ملائكة تحفظ أعمالكم ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ لا يقصّرون في شيء ممّا كُلّفوا به ﴿ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ من ينقذكم من أهوال وشدائد البر والبحر في أسفاركم؟ ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ تدعون ربكم علانية وسراً لينقذكم من الكرب، وتنسون آلهتكم المزعومة ﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ من فوقكم بالصواعق، والحاصب، ومن تحت أرجلكم بالخسف، والزلازل، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ يجعلكم فِرَقاً مختلفة الأهواء، يقاتل بعضكم بعضاً!! ولمّا نزلت هذه الآية ﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال رسول الله ﷺ: أعوذ بوجهك، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: أعوذ بوجهك ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ قال رسول الله: «هذا أهونُ أو هذا أيسر» رواه البخاري.

روى مسلم في صحيحه عن ثوبانَ أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله زَوَى لي الأرضَ فرأيتُ مشارقها ومغاربها، وإن مُلْكَ أمتي سيبلغ ما زُوِي لي منها، وأعطيتُ الكنزين: الأحمرَ، والأبيض ـ يعني الذهب والفضة ـ وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسَنَة عامة ـ أي بقحط أو جدب ـ فأعطانيها، وسألته ألاّ يُسلّط عليها عدواً من غيرها فأعطانيها، وسألته ألاّ يُذيق بعضها بأسَ بعض، فمَنَعنيها) رواه مسلم.

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِن حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ الْحَقُّ ۚ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ۚ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ ليس على المؤمنين المتقين ﴿مِن حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ شيءٌ من حساب الكفار، على استهزائهم بآيات الله، ﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾ ولكن عليهم أن ينصحوهم ويذكّروهم، لعلهم يجتنبون الخوض في آيات القرآن ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ خدعتهم الدنيا الفانية وأطمعتهم بالباطل، حتى ظنوا أن لا حياة غيرها ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾ ذكّر بالقرآن لئلا تُسْلَم نفسٌ إلى الهلاك، وتُرهن بسوء عملها ﴿كُلَّ عَدْلٍ﴾ تفتدي بكل فدية ﴿لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾ لا يُقبل منها، ولو جاءت بملء الأرض ذهباً ﴿شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ماء حار بالغ نهاية الحرارة ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا﴾ نرجع إلى الكفر والضلالة ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾ اختطفته الشياطين وأضلّته ﴿حَيْرَانَ﴾ متحيراً لا يدري أين يذهب؟ وهذا مثلٌ ضربه الله لمن يعبد آلهة غير الله، ويظن أنه على خير وهدى، حتى يأتيه الموت فيتحقّق له الخسران، **قال ابن عباس**: «هذا مَثَلٌ ضربه الله تعالى لمن يدعو إلى عبادة الأوثان، ولمن يدعو إلى عبادة الرحمن» بمثل رجلٍ ضلّ في الطريق، وابتعد عن إخوانه، وهم ينادونه أقبِلْ فهذا طريق الأمان، فإن استجاب لهم نجا، وإلاّ ضلّ وهلك..

تنبيه: لقد بلغ من سفه قريش وطغيانهم، أنهم كانوا يخوضون في مجالسهم بالطعن بالقرآن، والتكذيب بآياته، ويجعلون من القرآن والرسول مجالاً للسخرية والاستهزاء، فأُمِرَ المؤمنون بعدم مجالستهم، وعليهم أن ينصحوهم ويذكّروهم، وإذا لم يرتدعوا، فليس عليهم من جرائم المشركين شيءٌ، وفي هذا نزلت ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِن حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ الآية.

﴿أئفكاً آلهة﴾ أتعبدون أحجاراً تجعلها آلهة؟ وتترك عبادة الخالق الرازق؟ ﴿فما ظنكم﴾ أنت وقومك في بُعدٍ عن طريق الهدى، وضلالٍ واضح بيّن ﴿ملكوت السموات﴾ المُلك الواسع الباهر ﴿جن عليه الليل﴾ ستر بظلمته كل الأشياء ﴿رأى﴾ غاب الكوكب ﴿لا أحب الآفلين﴾ لا أحبُّ عبادة إلهٍ غائبٍ متغيّر ﴿القمر بازغاً﴾ ساطعاً منتشر الضوء طالعاً من الأفق ﴿قال هذا ربي﴾ على زعمكم، ﴿الشمس بازغة﴾ طالعة بنورها الوهّاج ﴿هذا أكبر﴾ أكبر من النجم والقمر ﴿وحاجه قومه﴾ خاصموه في أمر الله.

الجزء ٨ الحزب ١٤ صفحة ٢٥٥

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

تنبيه هام: لم يقل إبراهيم ذلك اعتقاداً بالوهيتها، بل استدراجاً لقومه، لإقامة الحجة عليهم، حيث بيّن لهم بالدليل المحسوس أن هذه الكواكب، مخلوقات مسخّرة تظهر ثم تغيب، فكيف تُعبد من دون الله؟ ولهذا سمّاها تعالى حجة ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ فهو في مقام مناظرة لقومه - كما قال الحافظ ابن كثير - لا في مقام نظر، وحاشا الخليل أن يشكّ في الربّ الجليل، وهو أبو الأنبياء، وإمام الحنفاء!! لقد ابتكر إبراهيم طريقةً عجيبة، على بطلان عبادة الأوثان، بطريق ادعاء ألوهية (النجم، ثم القمر، ثم الشمس) وهي التي كانت تُعبد مع الأوثان. فلما أوضح أن النجم لا يصلح أن يكون رباً، انتظر ما هو أضوأ منه وأنور، وهو القمر حين يكون بدراً، ولما غاب عن الأنظار، انتظر الشمس إذ كانت أكبر جرماً، وأضوأ نوراً، فلما غابت أعلن براءته من جميع هذه المعبودات، لأن الإله لايتغيّر، وكلُّ ذلك بطريق الاستدراج.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ صدّقوا بوجود الله ووحدانيته ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ لم يخلطوا إيمانهم بشيء من الشرك ﴿لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾ من عذاب الله، والمراد بالظلم: الشرك، لما رُوي عن ابن مسعود: لمّا نزلت هذه الآية شقّ ذلك على الناس، وقالوا: وأيّنا لم يظلم نفسه؟ فقال لهم ﷺ: ليس ذاك، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ رواه مسلم ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ﴾ هذا نصّ قاطع على أن إبراهيم كان في حديثه في (مقام المناظرة) لقومه لا في (مقام النظر)، والبحث عن الله، ولذلك ختم الله القصة بقوله ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ فتنبّهْ لهذا والله يرعاك ﴿وَٱصْبِغْ﴾ اصطفيناهم للنبوة والرسالة ﴿لَحِبِطَ عَنْهُم﴾ سقط عملهم الصالح وبطل ﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ﴾ الكتب السماوية، والحكمة الربانية ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ اقتدِ يا محمد بسيرة هؤلاء الرسل المهديّين، **قال ابن عباس: نبيكم محمد ﷺ ممن أُمر بالاقتداء بالأنبياء والرسل السابقين** وهذا دليل واضح على وحدة الرسالات السماوية، فالدينُ واحد، وإن كانت الشرائع مختلفة.. **تنبيه هام:** ممّا يدلُّ دلالة قاطعة، على أن إبراهيم عليه السلام لم يشكّ في ذات الله، وإنما كان يريد باستدراجه لهم، إقامة الحجة عليهم، قوله سبحانه: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ كما يدل عليه قول سيد الأنبياء ﷺ: (نحن أحقُّ بالشكّ من إبراهيم) رواه البخاري، ومعناه: نحن لم نشكّ فإبراهيم أولى أن لا يشكّ، وهذه شهادة بالبراءة والنزاهة عن الشكّ، من رسول الله ﷺ لخليل الرحمن.

﴿حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ ما عظّم اليهودُ اللّهَ حقَّ عظمته، ولا عرفوه حقَّ معرفته ﴿إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ حين قال اللعناءُ: ما تنزَّل شيءٌ من وحي الله، على أحدٍ من الرسل ﴿قَرَٰطِيسَ تُبْدُونَهَا﴾ تجعلونه في أوراق مكتوبة مفرّقة، تظهرون بعضها ﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ وتخفون كثيراً منها، لا سيّما ما يتعلّق بأمر محمد ﷺ ونبوّته.. رُوي أن أحدَ أحبار اليهود، جاء إلى رسول الله ﷺ يجادله - وكان حَبْراً سميناً - فقال له ﷺ: «أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى: هل تجد فيها أن الله يُبغضُ الحَبْرَ السمين؟» فغضب وقال: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ فنزلت الآية ﴿حَقِّ قَدْرِهِۦٓ﴾ باطلهم وضلالهم ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ أهل مكة ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ سائر أهل البلاد ﴿غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ أهواله وشدائده ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ بالضرب والتعذيب ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ خلّصوها من العذاب إن استطعتم ﴿عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ العذاب المخزي المهين ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ﴾ ما أعطيناكم من أموال الدنيا ومتاعها ﴿تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ تقطعت علاقات المحبة بينكم، وضاع ما زعمتموه من شفاعة الأصنام والأوثان.

سبب النزول: رُوي أنَّ أحدَ كبارِ أحبارِ اليهود، جاء يخاصمُ النبيَّ ﷺ، في أمر الرسالة، فقال له الرسولُ ﷺ: «**أنشدكَ بالله الذي أنزل التوراةَ على موسى، أمَا تجد في التوراة، أن الله يُبغضُ الحَبْرَ السّمينَ!؟**» فغضبَ وقال: والله ما أنزل الله على بشرٍ من شيء!! فقال له أصحابه: ويحكَ ولا على موسى؟ فكرّر قوله الفاجر، فأنزل الله ﴿إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ رواه الطبراني.

إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ
ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ
وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ
ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟
بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ
قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ
خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ۖ وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا
قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا
وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ
لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ
وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ
وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ يفلق الحبَّ لخروج النبات، ويفلق النواة لخروج الشجرة ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ يخرج الإنسان الحيَّ من النطفة، والطير من البيضة، والشجرة الباسقة من النواة الميّتة، **وقال ابن عباس:** يخرج المؤمن من الكافر، والكافرَ من المؤمن ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ شقّ ضياء الصبح عن ظلمة الليل ﴿حُسْبَانًا﴾ بحساب دقيق منتظم ﴿مُّسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ مستقرٌّ في الرحم، ومستودع في الأرض حين يموت الإنسان، ﴿قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ أخرجنا لكم من شجر النخيل، عناقيد متدلّية الأغصان ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ وأخرجنا أشجار الزيتون والرمان، مشتبهاً ورقُه، مختلفاً ثمره ﴿وَيَنْعِهِۦٓ﴾ وقت نضجه ﴿وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ﴾ ونسبوا إلى الله ما لا يليق من البنين والبنات، فقال النصارى: عيسى ابنُ الله، وقال المشركون: الملائكةُ بناتُ الله ﴿صَٰحِبَةٌ﴾ زوجة، والولدُ لا يكون إلّا من زوجة، والله سبحانه منزّه عن الزوجة والولد.

قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ هذه من دلائل القدرة الباهرة، أي يُخرج من النواة الصُلبة، شجرة باسقةً ذات أغصان وأوراقٍ وثمار، ويُخرج النباتَ الغضَّ الطريَّ من الحبِّ اليابس، كما يُخرج من النطفة الميتة إنساناً سوياً، ويُخرج المؤمن من الكافر، والكافرَ من المؤمن، والعالم من الجاهل، وبالعكس، وهذا الأخير قولُ ابن عباس، وهو محمول على وجه الاستعارة البديعة، على تأويل الحيّ بالمؤمن، والميت بالكافر!!

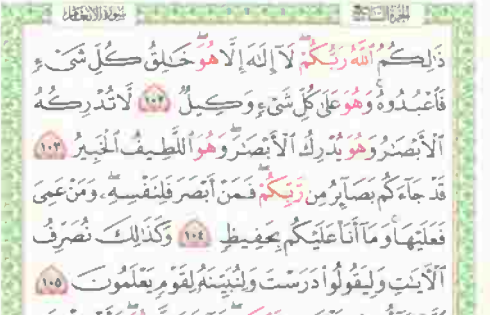
ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ
فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ
ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾
قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ
فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ
ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾
ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ
حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ
يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا
لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ
لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا
جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ
يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾

﴿لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ لا تحيط به تعالى الأبصارُ، ولا تراه في الدنيا ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ وهو يراها ويحيط بها، وهذا لا ينافي رؤية المؤمنين لربهم في الجنة، فإن ذلك مقطوع به لقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وللحديث في الصحيحين "إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر". ﴿بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ جاءتكم في القرآن الحجج والبراهين، التي تفرّقون بها بين الهدى والضلال ﴿نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ نبينها ونوضحها ليعتبروا ﴿وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ﴾ قرأت وتعلّمت من أهل الكتاب ﴿فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا﴾ عدواناً لعدم معرفتهم بعظمة الله وجلاله ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ مجتهدين بالحلف بأغلظها وأوكدها ﴿جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ معجزة مما طلبوا ﴿ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أمرُ مجيء المعجزات إلى الله، وليست لي ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ﴾ نقلّبُ قلوبهم عن الإيمان بسبب كفرهم ﴿وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ نتركهم في ضلالهم، يتخبّطون ويتردّدون حيارى، والعَمَهُ: يكون في القلب، كالعمى في البصر.

سبب النزول: روى ابنُ جرير عن ابن عباس أنه قال: قال المشركون: يا محمد لتنتهينّ عن سبِّ آلهتنا، أو لنهجونّ ربك، فنزلت ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الآية، وفيها دليل على أن الطاعة إذا أدّتْ إلى معصيةٍ وجب تركها، فإن ما يؤدّي إلى الشرّ شرٌّ، كمن ينهى إنساناً عن سماع الغناء مثلاً، فيسبُّ الإسلام ويهزأ من الدين لجهله، ولهذا ينبغي أن تكون الدعوة بطريق الحكمة.

وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا
عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا
شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ
الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ
﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ
أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ۚ
وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ۖ
فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا
وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن
تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن
يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾
فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾

الحزب ١٥ ربع

﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ جمعنا لهم كل شيء ﴿قُبُلًا﴾ عياناً ومشاهدة حتى رأوا الملائكة ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ بسبب شقائهم وإغراقهم في الضلال ﴿زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾ يوسوس بعضهم لبعض بالكلام المزخرف، المنمّق الباطل، ليغرُّوهم ويخدعوهم ﴿وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ﴾ ولتميل إلى هذا القول المزخرف قلوب الكفار الفجار ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا﴾ وليكتسبوا ما يكتسبونه من الذنوب والآثام ﴿أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ هل أطلب قاضياً بيني وبينكم غير الله تعالى؟ ﴿الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ موضّحاً فيه الحقُّ والباطل، والهدى والضلال ﴿الْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكّين في معرفة ذلك ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأحكام ﴿يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون في ما ينسبونه إلى الله تعالى من الزوجة والولد، وقد دلّت الآية على أن أكثر الناس، كفرةٌ فجرة، وأن نسبة المؤمنين قلةٌ قليلة، بالنسبة إلى الكفار، كما دلَّ عليه حديث الصحيحين «**يا آدمُ أخرجْ بعثَ النار من ذريتك!! فيقول آدم: وما بعثُ النار؟ فيقول: من كل ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعون**» قال مالكُ بن دينار: شيطانُ الإنس أشدُّ عليّ من شيطان الجن، فإن شيطان الجن يذهب عني بالتعوذ بالله منه، وشيطانُ الإنس لا يزال بي حتى يجرّني إلى المعصية جرًّا، وقرأ ﴿شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ الآية، وقد ارتقى شياطينُ الإنس في زماننا درجات، فصوّروا الكذب «دبلوماسية» والتكشف والتعري «تقدمية»، والتحرر من الفضيلة «مدنيّة» والتمسك بالدين «رجعية» يخدعون الناس بالألفاظ التي أوحى لهم بها زعيمهم إبليس!!

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ
لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ
بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾
وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ
سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ
اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ
أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾
أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي
النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ
زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا
فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۚ وَمَا
يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ
آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۘ اللَّهُ
أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ۗ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا
صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

﴿فَصَّلَ لَكُمْ﴾ فصّل لكم ربكم، ووضّح ما يحرم عليكم من المآكل ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ إلا وقت الاضطرار فيباح لكم المحرّم ﴿ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ اتركوا المنكرات والمعاصي، الظاهرَ منها والباطن ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ الأكلُ ممّا ذُبح لغير الله، خروج عن الطاعة ومعصية لله ﴿لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ﴾ يوسوسون إلى الكفار ﴿لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ في شأن أكل الميتة ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ إن أطعتموهم في استحلال الحرام أشركتم بالله، قال المشركون للمؤمنين: عجباً لكم تأكلون ممّا قتلتم - أي ذبحتموه - ولا تأكلون مما قَتَلَ اللّهُ يعني «الميتة»!! ﴿كَانَ مَيْتًا﴾ بمنزلة الميت، أعمى البصيرة ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ بنور الهداية والقرآن ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ كمن يتخبّط في ظلمات الكفر والضلالة؟ ﴿صَغَارٌ﴾ ذلٌّ عظيم وهوان عند الله تعالى ﴿بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ بسبب استكبارهم، ومكرهم المستمر.

سبب النزول: ١ - رُوي عن ابن عباس أنه قال: قال المشركون للمؤمنين: إنكم تزعمون أنكم تعبدون الله، فما قتلَهُ الله أحقُّ أن تأكلوه - يريدون الميتة - مما قتلتموه أنتم بأيديكم، فنزلت ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ..﴾ الآية، رواه أبو داود والترمذي. ٢ - وكان سببُ إسلام (حمزة) عمّ النبي ﷺ أن (أبا جهل) اللعين، رأى رسول الله ﷺ يصلّي، فألقى سلا الجزور - كرشه - على ظهر النبي ﷺ وهو ساجد، وبلغ الخبرُ إلى (حمزة) ولم يكن قد أسلم، فجاء مغضباً وضرب رأس أبي جهل بالسوط، وقال: أتهزأ من محمد وأنا على دينه؟ أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله!! وفيه نزلت ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ..﴾ الآية.

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾

﴿يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾ يوسّع قلبه لقبول الإسلام، ويقذف فيه النور الإلهي، ﴿وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ﴾ ومن يرد شقاوته وإضلاله ﴿يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا﴾ يضيق صدره بدين الإسلام، فيرفضه ويأباه ﴿حَرَجًا﴾ شديد الضيق ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يتكلف صعود السماء فلا يستطيعه، هذا ما قاله المفسرون، وفي عصرنا ظهرت (معجزة القرآن) فإن الإنسان إذا علا في الجو، قلّ (الأوكسجين) فتأتيه عوارض الاختناق وتكاد نفسه تزهق، وهو تشبيهٌ رائعٌ بضيق صدر الكافر بالإسلام ﴿ٱلرِّجۡسَ﴾ الخذلان والعذاب النفسي ﴿ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ﴾ أكثرتم من إضلال الإنس ﴿ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ﴾ انتفع الإنسُ بتزيين الجن لهم الشهوات، والجنُّ بطاعة الإنس لهم ﴿ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ﴾ منزلكم ومقامكم نار جهنم، ليس لكم منها مهرب ولا مخرج.

الحزب ٢٥ ١٥

توضيحٌ وبيان: لمّا نزلت هذه الآية ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾ سأل بعض الصحابة رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله كيف يشرح الله صدره؟ فقال ﷺ: «**نور يقذفه الله في قلب المؤمن، فينشرح وينفسح!!**» فقالوا: هل لذلك علامة يُعرف بها؟ قال: «**الإنابةُ إلى دار الخلود** ـ أي الإقبال على الآخرة ـ **والتجافي عن دار الغرور** ـ أي الدنيا ـ **والاستعداد للموت قبل نزوله**» رواه البيهقي وابن جرير الطبري.

وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا
يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ
أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا
تُوعَدُونَ لَـَٔاتٍ ۙ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ
ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ
﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ
نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ
فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ
وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ
سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ
لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ
شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ﴾ مراتب ومنازل من عمله، المؤمن في درجات النعيم، والكافر في دركات الجحيم ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن الخلق وعن عبادتهم ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ واسع الرحمة بالعباد ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ لو شاء لأهلك النعصاة ﴿وَيَسْتَخْلِفْ﴾ ويأتي بخلق آخرين، يكونون أعبد لله وأطوع ﴿يُعْجِزِينَ﴾ لستم ناجين من عذاب الله بالهرب ﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ على طريقتكم في محاربة دين الله ﴿إِنِّى عَٰمِلٌ﴾ إني سائرٌ على منهجي في الدعوة إلى الله ﴿مِمَّا ذَرَأَ﴾ جعل المشركون نصيباً لله مما خلق لهم ﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ﴾ من الزروع والحيوانات نصيباً ﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ هذا نصيب الله، وهذا نصيب الآلهة والأصنام، وكانوا إذا أصابهم قحط أكلوا نصيب الله، وتحاموا عن نصيب الأصنام ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ بئس هذا الحكم الجائر ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ ليهلكوهم بالإغواء.

معجزة قرآنية علمية: قولُه تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ..﴾ الآية، هذه حقيقة علمية، ذكرها القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً من الزمان، يدركها كلُّ من صعد شواهق الجبال.. مثّل تعالى لضيق صدر الكافر بالإيمان، بمن يعلو في طبقات الجوّ، حتى تكاد نفسه تُزهق، وروحه تتمزّق، وتكاد تخرج من جلدها، وتعتريه عوارضُ الاختناق، من قلة (الأوكسجين) وهذه حقيقة لم يكن يعرفها الناسُ من قبل، وإنما عرفها الطيّارون، وقد كان المفسرون يقولون: (كأنما يصعّد في السماء) كمن يحاول الصعود إلى السماء ولا يستطيع، وما اكتشفه العلم أن الأوكسجين يقلُّ في الطبقات العليا، حتى يكاد الإنسان يختنق، أقربُ إلى التصوير القرآني البديع.

وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾

﴿ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ ﴾ قال المشركون: هذه حيواناتٌ وزروعٌ حرامٌ ممنوعة على غير آلهتنا «الأصنام» ﴿ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا ﴾ لا تُركب كالبحائر والسوائب، ﴿ وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ﴾ عند الذبح إنما يذكرون عليها اسم الأصنام ﴿ ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ﴾ كذباً على الله ﴿ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا ﴾ إشارة إلى نوع آخر من قبائح المشركين، أي قالوا: ما تحمله هذه البحائر والسوائب حلالٌ للذكور، دون الإناث ﴿ مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ﴾ وإن كان ما في بطونها ميتة، اشترك فيها الذكور والإناث ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ﴾ سيجازيهم على كذبهم وافترائهم على الله ﴿ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا ﴾ دفنوا بناتهم جهالةً وسفاهة ﴿ حِجْرٌ مَّعْرُوشَٰتٍ ﴾ بساتين من العنب، منها مرفوعات على عرائش ﴿ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ ﴾ ومنها متروكات على وجه الأرض ﴿ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾ منها ما يحمل الأثقال كالإبل الكبار، ومنها الصغار التي تفرش أي تُضجع للذبح كالغنم.

تنبيه: قال ابن عباس: إذا سرَّك أن تعلم جهل العرب، فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ ﴾ رواه البخاري.. نزلت هذه الآية: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا ﴾ في قبيلتين من قبائل العرب، هما: قبيلة (ربيعة) وقبيلةُ (مضر) كانوا يئدون بناتهم مخافة العار، أو مخافة الفقر، وهي جريمة فظيعة منكرة، شنَّع عليها القرآن ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾ وانظر القصة المحزنة في كتابنا (صفوة التفاسير) ١/ ٤٢٣ التي ذكرها الإمام القرطبي في تفسيره.

ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖ﴾ خلق ربكم من الأنعام ثمانية أنواع تأكلونها ﴿مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ من الضأن (الكبش، والنعجة) ومن المعز: (التيس، والعنزة) ﴿قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ قل لهم على وجه التوبيخ: هل حرَّم ربكم عليكم الذكور من الضأن والمعز؟ أم حرَّم الإناث منهما؟ ﴿أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ أم حرَّم الجنين الذي حملته إناث الجنسين؟ ﴿نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ﴾ أخبروني عن ذلك بعلم عن الله، لا بظنون وتخرُّصات، والمقصودُ إنكارُ أن الله سبحانه حرَّم عليهم شيئاً من الأنواع الأربعة ﴿قُل لَّآ أَجِدُ﴾ لا أجد في الوحي المنزل علي ﴿مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ﴾ شيئاً محرّماً من المطاعم ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً﴾ إلا أن يكون المأكول ميتة ﴿أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا﴾ دماً سائلاً مُهراقاً ﴿أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ﴾ قذرٌ ونجس ﴿أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ ذبح على اسم غير الله، فهذا هو المحرَّم في الشريعة الغراء، وما سوى ذلك فهو من سفه أهل الجاهلية، فالحلالُ ما أحلّ اللّٰه، والحرامُ ما حرَّم اللّٰه، والآيةُ نصٌّ على أن التحريم إنما يُعلم بالوحي، لا بالأهواء والآراء الشخصية ﴿كُلَّ ذِي ظُفُرٖ﴾ حرَّمنا على اليهود خاصة، كلَّ ما ليس منفرجَ الأصابع، كالإبل، والنَّعام، والاوزّ، والبطّ، عقوبةً لهم على معاصيهم ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ﴾ وحرمنا عليهم شحوم البقر والغنم، إلا ما علق بظهورهما من الشحم ﴿أَوِ ٱلۡحَوَايَآ﴾ ما حملته الأمعاء من المباعر والمصارين ﴿جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡ﴾ عاقبناهم بسبب ظلمهم ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ في جميع ما قصصناه عليك يا خاتم الأنبياء.

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ
بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟
لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ
كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ
قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا
ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ
فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ
يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ
مَعَهُمْ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞ قُلْ
تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ
شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ
إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ
مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى
حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ فإن كذبك اليهود ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة، مع شدّة إجرامكم ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ﴾ أي لا يُدفع عذابه ولا تقمته عن المجرمين، فلا تغترُّوا بسعة رحمة الله، فإن عذابه إذا نَزَل لا يُرفع ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ يقول مشركو العرب: لو أراد الله ما كفرنا ولا أشركنا، يحتجون (بالقضاء والقدر) لرفع المسؤولية عنهم، وهذه فرية على دين الله، فمن الذي أخبر الكافر أن الله أراد له أن لا يؤمن؟ ومن عرَّف تارك الصلاة أن الله شاء له أن لا يصلِّي؟ ﴿هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾ هل عندكم حجة أو برهان على صدق قولكم فتظهروه لنا؟ ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ ما هي إلَّا ظنون وأوهام ﴿وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ تكذبون ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ بإرسال الرسل، وإنزال الكتب ﴿مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ من فقر ﴿ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ كبائر الذنوب.

توضيحٌ وبيان: قولُ المشركين: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ كذبٌ على الله، فقد زعموا أن ما هم عليه من الكفر والإشراك، واقعٌ بمشيئةِ الله، فهم إذاً معذورون عند الله، ولو شاء الله ما أشركوا، وغرضُهم أن يتعلَّلوا (بالقضاء والقدر) لدفع المسئولية عنهم، وهذه نزعة جبرية شيطانية، يحتجُّ بها السفهاء، عندما تقرعهم الحجَّةُ، كما يقول المجرمُ العاصي، والمرتكبُ لأنواع القبائح والمنكرات: هذا قَدَرُ الله لا مهربَ ولا مفرَّ منه!! وقد ردَّ الله مزاعمهم الباطلة بوجهين: **الأول:** أن هذه مقالةُ السفهاء قبلهم، **والثاني:** أن هذا كذبٌ على الله، خلطوا صدقاً بكذب.

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ
وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا
وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ
اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾
وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي
أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ
رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ
وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ
عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ
﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ
فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِي الَّذِينَ
يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ تكتمل قوّته ويصبح بالغاً راشداً ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل الذي أمر الله به ﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتها وما تقدر عليه ﴿صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ سبيلي ودِيني الذي لا اعوجاج فيه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ الطرق المعوجّة ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ فتحرفكم عن سبيل الهدى. . خطّ رسولُ الله ﷺ لأصحابه خطاً بيده، ثم قال: «هذا سبيلُ الله مستقيماً»، ثم خطّ خطوطاً عن يمين ذلك الخطّ وشماله، ثم قال: «وهذه السُّبُل ليس منها سبيل - أي طريق - إلّا عليه شيطان يدعو إليه» ثم قرأ هذه الآية رواه أحمد ﴿طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾ لئلا تقولوا: إنما نزلت الكتب المقدّسة على اليهود والنصارى ﴿دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ كنا عن معرفة ما في كتبهم جاهلين، لا نقرأ ولا نعرف ما فيها ﴿جَاءَكُم بَيِّنَةٌ﴾ جاءكم القرآن العظيم، فيه النور والهدى والبيان، فلم يبق لكم حجة ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ أعرض عنها لشقاوته، ولم يستفد من النور الوضّاء، وفي هذه الآية، دليلٌ واضح على أن الله لا يعذّب أحداً، حتى تبلغه الدعوة، ويأتيه الرسول ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾.

تنبيه: قولُه تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ..﴾ هذه الوصايا العشر، مما لا تختلف باختلاف الأمم والأزمان، وهنّ محرّمات على جميع ذرية آدم، ولهذا أكّدها الله في هذه السورة، وكرّر فيها لفظ الوصية ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ﴾ ليتمسك بها المسلمون، ولا ينسوها في حياتهم الاجتماعية، فهي وصايا (إلهية ربانية) وقد ذُكرت هذه الوصايا في التوراة والإنجيل، ولكنّ اليهود والنصارى لا يطبّقونها.!

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ
بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا
لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا
إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ
مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ
﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ
فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ
إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ
﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ
نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ
خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ
فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ ما ينتظر الكفار الأشقياء إلا أن تحضرهم الملائكة لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ للفصل بين الخلق يوم القيامة ﴿بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ كطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم، وهذه بعض علامات الساعة الكبرى ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ وإذا جاءت بعض هذه العلامات، لا ينفع أحداً إيمانٌ ولا توبة، وفي الحديث: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعتْ ورآها الناسُ آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها**» ثم قرأ الآية رواه البخاري ﴿فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ﴾ فرّقوا الدينَ فأصبحوا فيه شيعاً وأحزاباً، وهم اليهود والنصارى ﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ فِرَقاً وأحزاباً في الضلالة ﴿قِيَمًا﴾ مستقيماً لا عوج فيه ﴿وَنُسُكِى﴾ عبادتي كلُّها ومنها الذبحُ ﴿وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى﴾ حياتي ووفاتي ﴿خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ يخلف بعضكم بعضاً، جيلاً بعد جيل.

تنبيه هام: التفريقُ الذي نبّهت عليه الآية، هو الاختلاف في أصول الدين، لا في فروعه، والآية نزلت في (اليهود والنصارى) كما قال ابن عباس، وليست في الأئمة المجتهدين، الذين اختلفوا في فروع الدين، كما فهم ذلك بعضُ الجاهلين، فالاختلافُ في الفروع رحمة، وفي الأصول بلاءٌ ونقمة، فتنبّه لهذا والله يرعاك! ثانياً: دلّ قوله تعالى: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ أن الإيمان عند النزع والاحتضار، لا ينفع صاحبَه، ولا يُقبلُ منه هذا الإيمان، لأنه ليس بإيمان اختياري، إنما هو إيمانُ من شاهد العذاب، والله يريد منا الإيمان بالغيب، والله أعلم.